فكّر صح

اررركب !

وائل عادل

كَانَ عُمَرُ يُحِبُّ اللَّعِبَ وَالْمُغَامَرَةَ.

وَفِي صَبَاحِ يَوْمٍ مُشْمِسٍ، وَقَفَ عِنْدَ نَاصِيَةِ الشَّارِعِ، فَلَفَتَ انْتِبَاهَهُ إِعْلَانٌ مُلَوَّنٌ لِمَدِينَةِ الْمَلَاهِي.

لَمَعَتْ عَيْنَاهُ، وَابْتَسَمَ بِحَمَاسٍ، وَقَالَ:

سَأَذْهَبُ هُنَاكَ!

فَجْأَةً، تَوَقَّفَتْ حَافِلَةٌ، وَأَطَلَّ السَّائِقُ "عَنْتَر" مِنَ النَّافِذَةِ، وَهُوَ يَرْتَدِي نَظَّارَةً سَوْدَاءَ كَبِيرَةً تُغَطِّي عَيْنَيْهِ، وَكَانَ يُنَادِي عَلَى ٱلْوَاقِفِينَ عَلَى ٱلرَّصِيفِ:

. "ارْكَبْ... ارْكَبْ..."

نَظَرَ عُمَرُ إِلَيْهِ بِتَرَدُّدٍ لَحْظَةً... ثُمَّ رَآهُ يُنَادِي عَلَيْهِ:

"ارْكَبْ... ارْكَبْ... ارْكَبْ يَا بَطَل"!

اِقْتَرَبَ عُمَرُ مِنْ بَابِ الْحَافِلَةِ الْمَفْتُوحِ وَسَأَلَ بِفُضُولٍ: "هَلْ سَتَذْهَبُ هَذِهِ الْحَافِلَةُ إِلَى..."

قَاطَعَهُ السَّائِقُ "عَنْتَر"، فَقَدْ كَانَ يُرِيدُ إِغْلَاقَ الْبَابِ سَرِيعًا، وَقَالَ: "يَا بَطَلُ، اِرْكَبْ وبَعْدَيْن نِشُوفُ!"

قَفَزَ عُمَرُ إِلَى الدَّاخِلِ وَجَلَسَ عَلَى أَحَدِ الْكَرَاسِي، وَهُوَ يَتَخَيَّلُ الْمَرَحَ وَاللَّعِبَ الَّذِي يَنْتَظِرُهُ.

فِي الْمَحَطَّةِ التَّالِيَةِ، صَعِدَتِ السَّيِّدَةُ "سُوسَن" وَهِيَ تَرْتَدِي جِلْبَابًا وَوِشَاحًا بَسِيطًا. كَانَتْ تَحْمِلُ أَكْيَاسًا ضَخْمَةً وَمَلِيئَةً بِالْخُضْرَوَاتِ، وَوَضَعَتْهَا عَلَى الْأَرْضِيَّةِ حَتَّى مَلَأَتِ الْمَكَانَ. حَاوَلَ عُمَرُ أَنْ يَجِدَ مَكَانًا لِقَدَمَيْهِ الصَّغِيرَتَيْنِ فِي وَسَطِ أَكْيَاسِ الْكَرَنْبِ وَالْجَزَرِ.

ثُمَّ صَعِدَ الْعَمُّ "زَكِي"، وَهُوَ رَجُلٌ يَرْتَدِي قَمِيصًا عَادِيًّا وَيَحْمِلُ بَيْنَ يَدَيْهِ قَفَصًا كَبِيرًا فِيهِ دَجَاج.

وَمَعَ حَرَكَةِ الْحَافِلَةِ: بَدَأَ رِيشُ الدَّجَاجِ الْأَبْيَضُ يَتَطَايَرُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَيَسْقُطُ بِكَثَافَةٍ عَلَى وَجْهِ عُمَرَ الصَّغِيرِ.

صَرَخَتِ السَّيِّدَةُ سُوسَن بِغَضَبٍ فِي وَجْهِ الْعَمِّ زَكِي: "رِيشُ دَجَاجِكَ يَمْلَأُ مَلَابِسِي وَأَكْيَاسِي!"

رَدَّ الْعَمُّ زَكِي بِضِيقٍ: "وَأَكْيَاسُكِ الْكَبِيرَةُ لَمْ تَتْرُكْ لِي مَكَانًا!"

وَبَدَأَ شِجَارٌ كُومِيدِيٌّ بَيْنَهُمَا، يَدُورُ حَوْلَ رِيشِ الدَّجَاجِ وَأَكْيَاسِ الْكَرَنْبِ، بَيْنَمَا كَانَ عُمَرُ يُرَاقِبُ الْمَوْقِفَ بِدَهْشَةٍ وَالرِّيشُ يُغَطِّي شَعْرَهُ.

تَوَقَّفَتِ الْحَافِلَةُ مَرَّةً أُخْرَى لِيَصْعَدَ رَجُلٌ ضَخْمٌ، يَحْمِلُ بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ بَطِّيخَةً ضَخْمَةً، تَبْدُو وَكَأَنَّهَا سَتَنْفَجِرُ. كَانَ عُمَرُ يَشْعُرُ بِالارْتِبَاكِ.

فَكَّرَ: "لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ هَؤُلَاءِ ذَاهِبِينَ إِلَى الْمَلَاهِي!"

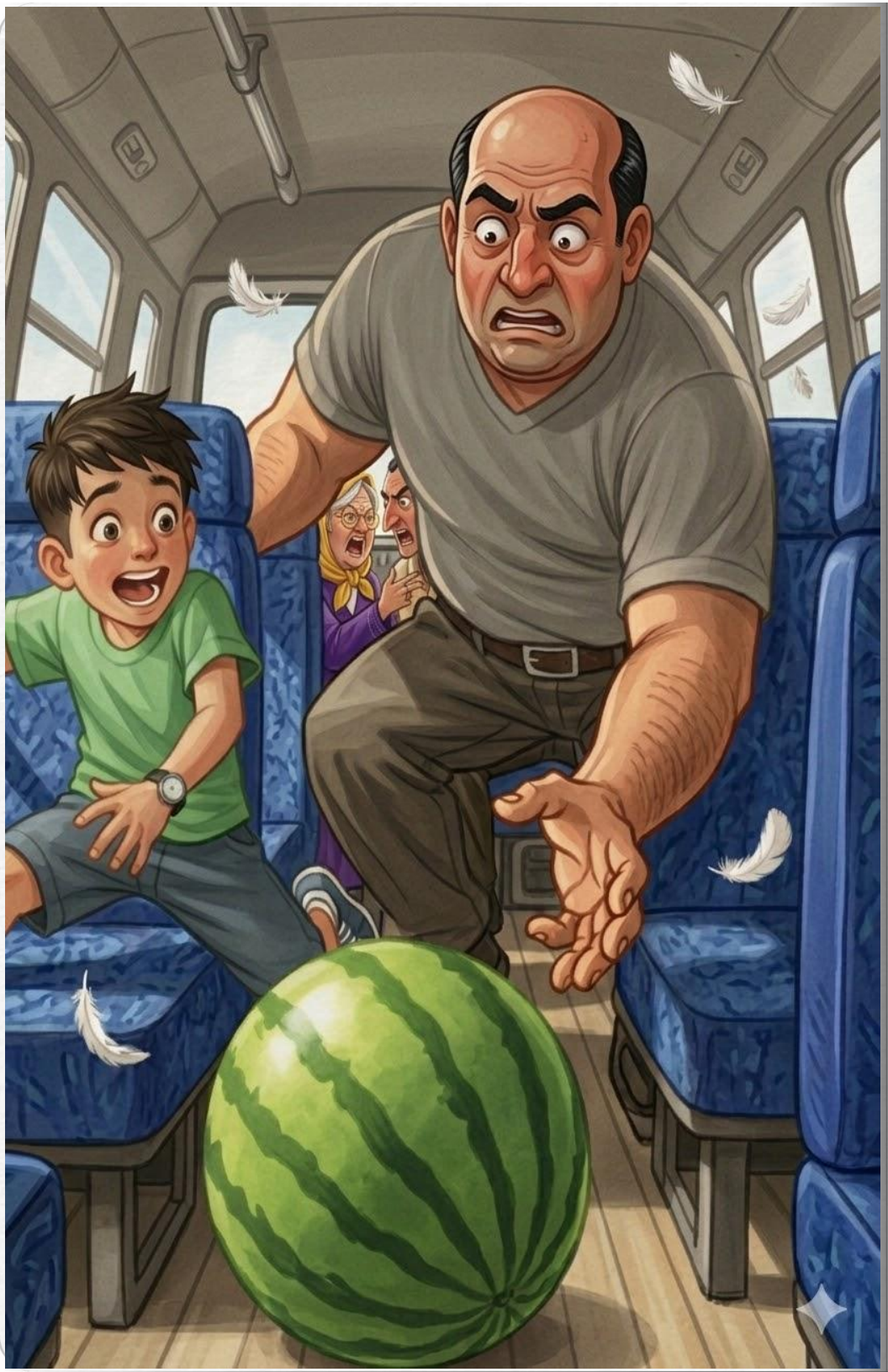

فَجْأَةً، اِنْحَرَفَتِ الْحَافِلَةُ يَمِينًا بِقُوَّةٍ، فَتَدَحْرَجَتِ الْبَطِّيخَةُ. حَاوَلَ عُمَرُ الإِمْسَاكَ بِهَا قَبْلَ أَنْ تَسْقُطَ.

اِكْتَشَفَ عُمَرُ شَيْئًا غَرِيبًا: أَنَّ السَّائِقَ كَانَ يَسْتَعْجِلُ الرُّكَّابَ كَي تَرْكَبَ دُونَ أَنْ يُحَدِّدَ الْوِجْهَةَ.

بَدَأَتِ الْحَافِلَةُ تَزْدَادُ اِزْدِحَامًا، وَمَعَ الْاِزْدِحَامِ تَزْدَادُ الْمَشَاكِلُ. كَانَ الرُّكَّابُ يَتَجَادَلُونَ وَتَمُرُّ الْحَافِلَةُ بِاللَّافِتَاتِ وَالأَمَاكِنِ، وَلَا أَحَدَ يَنْتَبِهُ.

أَمَّا عُمَرُ فَكَانَ مَحْشُورًا بَيْنَ الأَكْيَاسِ وَالرِّيشِ، وَيَتَعَجَّبُ!! فَالجَمِيعَ مَشْغُولون بِمَشَاكِلِهِم، الَّتِي نَشَأَتْ مِنْ اِمْتِلَاءِ الْحَافِلَةِ، كَأَنَّهَا أَهَمُّ مِنْ مَعْرِفَةِ الطَّرِيقِ نَفْسِهِ.

تَوَقَّفَتِ الْحَافِلَةُ أَخِيرًا، وَصَاحَ عَنْتَرُ:
"وَصَلْنَا!"

نَظَرَ عُمَرُ مِنَ النَّافِذَةِ فِي ذُهُولٍ، فَقَدْ وَجَدَ نَفْسَهُ فِي السُّوقِ، حَيْثُ تَنْتَظِرُهُ الْمَزِيدُ مِنَ الأَكْيَاسِ وَالرِّيشِ.

لَا تُوجَدُ مَلَاهِي، وَأَدْرَكَ عُمَرُ أَنَّهُ أَخْطَأَ حِينَ لَمْ يَتَأَكَّدْ مِنَ الْمَسَارِ مُنْذُ الْبِدَايَةِ..

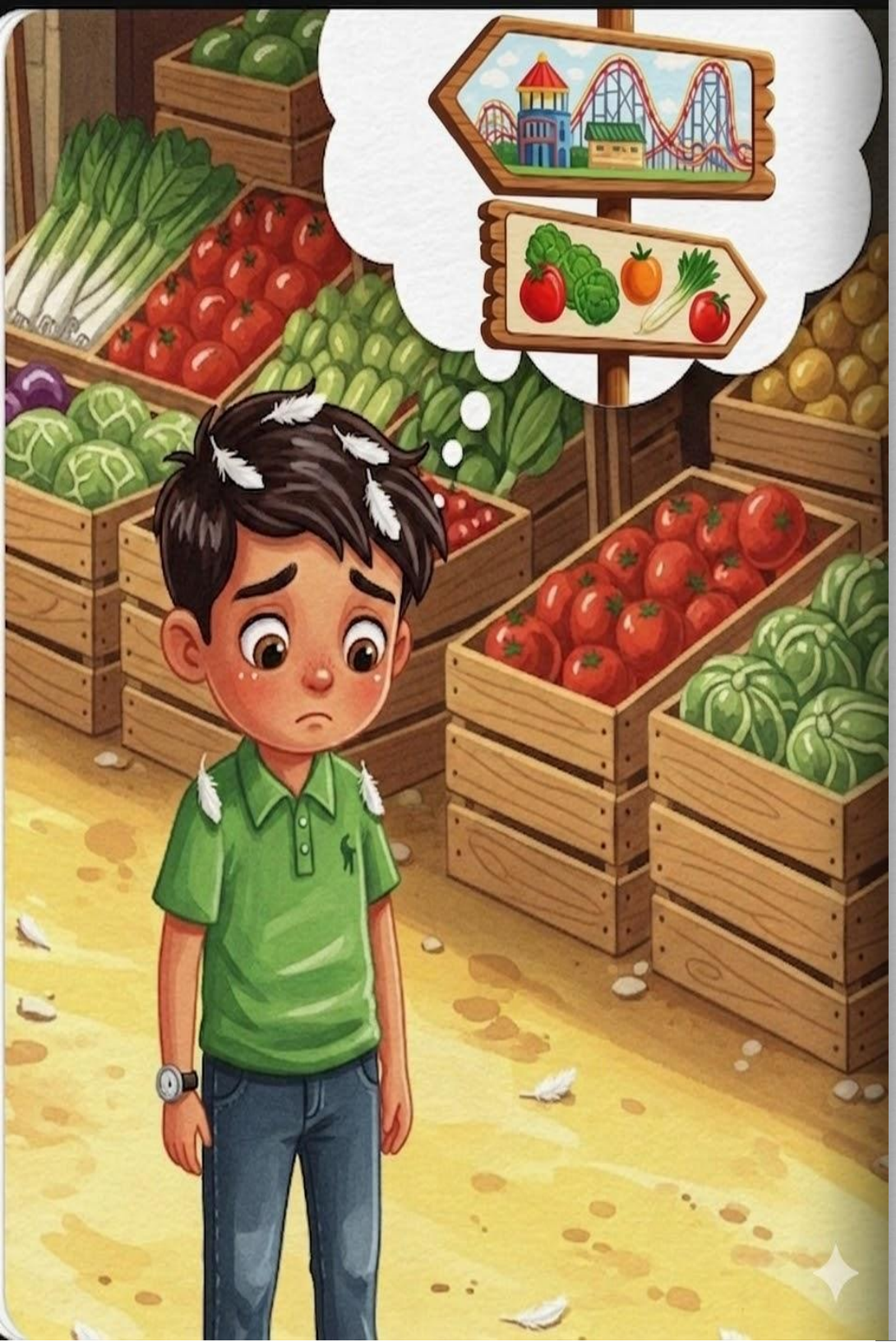

نَزَلَ عُمَرُ مِنَ الْحَافِلَةِ، وَفِي الْخَلْفِيَّةِ تَتَصَاعَدُ صِيَحَاتُ الرُّكَّابِ غَضَبًا مِنْ عَنْتَرَ.

وَقَفَ عُمَرُ وَحِيدًا وَسْطَ سُوقِ الْخُضَارِ الْمُزْدَحِمِ، بَدَا عَلَيْهِ الْإِرْهَاقُ، وَكَانَتْ مَلَابِسُهُ مُغَطَّاةً بِالرِّيشِ الْأَبْيَضِ.

تَذَكَّرَ اللَّافِتَةَ الَّتِي كَانَتْ عَلَى نَاصِيَةِ الطَّرِيقِ قَبْلَ أَنْ يَرْكَبَ، فَالْحَافِلَةُ لَمْ تَأْخُذِ اتِّجَاهَ الْمَلَاهِي، وَعَدَمُ الْإِصْرَارِ عَلَى التَّأَكُّدِ مِنَ الْوِجْهَةِ هُوَ مَا أَوْصَلَهُ إِلَى هُنَا.

فِي الْيَوْمِ التَّالِي، نَادَاهُ أَصْدِقَاؤُهُ: "تَعَالَ اُنْزِل مَعَنَا!".

فَسَأَلَهُمْ: "إِلَى أَيْنَ؟".

قَالُوا: "اُنْزِلْ وبَعْدِيْن نَشُوفُ!"

ابْتَسَمَ عُمَرُ مُتَذَكِّرًا عَنْتَرَ وَأَكْيَاسَ الْخُضَارِ وَالْبَطِّيخَةَ وَالرِّيشَ.

هَزَّ رَأْسَهُ مُعْتَرِضاً: "لَا، أَخْبِرُونِي أَوَّلًا إِلَى أَيْنَ نَذْهَبُ، ثُمَّ سَأُقَرِّرُ إِنْ كُنْتُ سَأَنْزِلُ مَعَكُمْ"!